التأويليات

معرفة المعروف

تحوّلات التأويلية

من شلايرماخر إلى ديلتاي

فتحي إنقـزّو

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

معرفة المعروف
Ma‘rifat al-Ma‘rūf

تأليف: فتحي إنقزّو
عدد الصفحات: 272
قياس الصفحة: 17X24 سم
تاريخ الطبعة: 2017م
رقم الطبعة: الأولى
التصنيف الموضوعي: 190
الترقيم الدولي: 978-614-8030-40-6

Author: Fatḥī Inqizzū
Pages: 272
Size: 17 X 24 cm
Edition Date: 2017
Edition No.: 1st
Subject Classification: 190
ISBN: 978-614-8030-40-6

الناشـــر
مؤمنون بلا حدود
للنشر والتوزيع

Publisher
Mominoun Without Borders
for Publishing & Distribution

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights resereved
Mominoun Without Borders Institution

المملكة المغربية - الرباط - أكدال
تقاطع زنقة بهت وشارع فال ولد عمير
عمارة ب، طابق 4، جانب مسجد بدر
ص.ب 10569
هاتف: 212 537779954+
فاكس: 212 537778827+
Email: info@mominoun.com

لبنان - بيروت
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بلبيسي
ص.ب 6306-113
هاتف: 961 1747422+
فاكس: 961 1747433+
Email: publishing@mominoun.com

Morocco, Rabat, Agdal
11 RUE GABES (CENTRE-VILLE)
P.O.Box 10569
Tel: +212 537779954
Fax: +212 537778827
Email: info@mominoun.com

Lebanon - Beirut
al-Hamra - Maqdisi St. - Balbisi Build.
P.O.Box 113-6306
Tel: +961 1747422
Fax: +961 1747433
Email: publishing@mominoun.com

www.mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

الموزع المعتمد في المغرب العربي
المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع
المغرب - الدار البيضاء - 6 زنقة التيكر
هاتف: 212 522810406+
فاكس: 212 522810407+
Email: markazkitab@gmail.com

المحتوى

مقدمة: معرفة المعروف أو في الحاجة إلى التأويل 11

1- الهرمسية ومتاهات المعنى: الفردوس المفقود 20

2- من صناعة التأويل إلى فلسفة الفهم 26

3- الأفق الكلي للتأويلية وتبعاته الفلسفية 29

الباب الأول: التأويلية والحداثة عند شلايرماخر 37

توطئة 39

الفصل الأول: في تاريخ التأويلية: المسائل والقراءات 51

1- تاريخ التأويلية ومنزلة شلايرماخر 52

1-1- ملاحظات أوليّة 52

1-2- من شلايرماخر إلى هومبولد 56

1-3- التأويلية الأدبية وتاريخ التأويلية 59

2- قراءة ديلتاي: تأويليّة المفرد 63

3- هايدغر: بين التأويليّة وفلسفة الدين 67

الفصل الثاني: بدايات الفلسفة وتجارب الفكر - الأفلاطونية والحداثة 73

1- البدايات والأحاديث: نحو فلسفة في الحوار 74

2- أصول الفلسفة: بين كانط وأفلاطون 77

2-1- أثر الفلسفة الكانطيّة 77
2-2- قراءة أفلاطون: الفيلسوف والترجمان 82
3- في الدين والتجربة الدينية: ذات الإيمان 87
الفصل الثالث: الحدس والتعبير: فنّ الفهم وفنّ التأويل 93
1- التأويل، اللغة، الحدس 96
2- التأويل اللساني والتأويل الفني 102
3- الدور التأويلي 107
الباب الثاني: تأويلية العالم التاريخي - ديلتاي 111
توطئة 113
الفصل الأول: ديلتاي وعصره - نقد الوضعية ومهمة الفلسفة 125
1- المنطلق التاريخي ومصادره: الحدس والنسق 127
2- الرجعة إلى كانط 135
2-1- انطلاقاً من شلايرماخر: «المبادرة الألمانية» 136
2-2- التصور الترنسندنتالي ومنزلة الوعي 138
3- نقد الوضعية: «تجربة، لا تجريبية» 144
4- الروح الفلسفي: مقامه وأصوله 147
الفصل الثاني: نقد العقل التاريخي وفلسفة السّيرة - من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفردية 155
1- النسق الفلسفي لعلوم الروح: المبادئ والمقدّمات 157
2- أصول النّسق العلمي وانتظاماته: علوم الروح، نشأتها ومطالبها .. 167
3- نقد فلسفة التاريخ ونهاية الميتافيزيقا: عودة السّرد 176

الفصل الثالث: من التأويلية إلى الفينومينولوجيا - ديلتاي بين شلايرماخر وهوسّرل 185

1- من النفس إلى التاريخ 186

2- الوسائط التأويلية: من الفيلولوجيا إلى الفلسفة 195

3- فينومينولوجيا أم تأويلية العالم التاريخي: المناظرة مع هوسرل . 208

3-1- الثالوث التأويلي: الحياة-العبارة-الفهم 208

3-2- فينومينولوجيا المعنى والدلالة: ديلتاي والبحوث المنطقية 221

3-3- الخصومة الأخيرة: معضلات التاريخانية 228

ببليوغرافيا 235

فهرس الأعلام 265

مقدمة

معرفة المعروف
أو في الحاجة إلى التأويل

«إن أولئك الذين يؤلّفون الكتب، ثمّ يتخيّلون أنّ قرّاءهم هم الجمهور، وأنّه يجب عليهم تهذيبه، هؤلاء يسارعون لا في الاستهانة بما يسمّى جمهورهم فقط، وإنّما في كراهيته».

فريدريش شليغل (1797).

بمثل هذا العنوان، ارتأينا أن نبتدئ القول في الغرض الذي ينهض له هذا الكتاب، وتحت لوائه رأينا أن نجمع المباحث التي أفضت إليها انشغالات متواترة في السنين القليلة الماضية. والحقّ أنه ليس عنواناً من عندنا حتى نستأثر به، ولا هو من تحصيل الحاصل، كما يوحي به ظاهر العبارة في طوطولوجيا جوفاء، ولا ينطوي على دور فاسد، مثلما يخيّل إلى الناظر بادئ الأمر، إنما هو معنى له شأنٌ راسخٌ في المأثور التأويلي الحديث، لا يخلو من سوابق عند القدامى، ولا من الصّدى والأثر عند المتأخّرين، بل لعلّه يصلح عنواناً دالاً على مقام مشترك جامع بين فنون كثيرة[1].

(1) في استعمال هذه العبارة التي استحدثها أوغست بوك كما سيأتي بيانه، وفي تنويه غادامر بذلك، راجع: =

والحقّ أنّ انتساب التأويل، وفنونه، ومناهجه إلى سياق المعرفة، وتعلّقه بمطلوبها، أعني بالمعروف، من الأمور التي يُستبعد أن ننقاد إليها بالتسليم أصلاً، مادام الشأن التأويلي، أو الهرمينوطيقي، على مسافة فاصلة عن المطالب المعرفية لا يخطئها أدنى تأمل واعتبار، فهو قرين القول والخطاب، مناط العبارات والعلامات، مثوى الرموز والإشارات. وليس اقتضاؤه للحقيقة إلا من باب التجوّز والمسامحة، ولا اعترافه بالمطابقة إلا بحكم التّرتيب والفكر، لا بشرط الوجود والحدوث. فما الذي يدفع إلى مثل هذا الجمع، وفيه ما فيه من التنافر، والتضاد، والتعاند المنطقي والأنطولوجي؟ بأيّ معنى يدل هذا الحدس التأويلي الفذّ على تعريف أصيل للجهد الهرمينوطيقي، وعلى مشترك معنويّ جامع لأطياف من القضايا، والمسائل، والمفاهيم، والنصوص المرسلة على آفاق لامتناهية؟ أليس هذا المقام هو عين الحاجة إلى التأويل، وعين الاضطلاع به وترسيخ أسسه؟

قد لا يخلو مثل هذا العمل من الاختلاط ببعض الشّبهات التي تحوم حول كل انشغال فلسفي بأمر هو في معترك الأمور كلها، ومسألة صار الجميع إلى ادعائها، كلٌّ لنفسه: أمر التأويل ومسألته، وأمر الحاجة إليه. ولا يكاد المرء يحصي ما أنتج في هذا المجال، بما له وما عليه، ولا يأتي على شيء من الترتيب حيال الفوضى الفكرية التي نحيا على وقعها، منذ عقود، بلا أمل في مخرج مّا، أو في تراكم مثمر وموجب يفضي إلى محصول يغني النفس، ويرضي العقل. فقد صار هذا المفهوم، وسائر العبارات، والألفاظ المحيطة به، مفرّقاً بين المجالات والفنون، فاقداً بريقه من كثرة الاستعمال،

= F. Rodi, Erkennen des Erkannten. Zur Hermeneutik des 19. und 20 Jahrhunderts, Frankfurt: Suhrkamp, 1990; H.G. Gadamer, «Die Hermeneutik und die Dilthey-Schule (1991)», Gesammelte Werke, Bd. 10: Hermeneutik im Rückblick, Tübingen: J.CB. Mohr (Paul Siebeck), 1995, pp. 185-205 [= GW].

نلفت انتباه القارئ إلى أن المصادر الموضوعة في الهوامش يُشار إليها بمعطياتها كاملة عند أول إحالة عليها، ونعتمد في الإحالات الموالية على الرمز المشار إليه بين معقفين.

غير دالّ على المقصود به لغلبة الرّطانة الثقيلة لمثقّفين من عبدة الشهرة، وطلاب السّمعة، متقلباً بين النّصوص والممارسات، لا يستقرّ على حال.

كلٌّ يدّعي الحق في التأويل: من المتحدثين بأحاديث كلّ يوم في السّوق والشارع، إلى أصحاب الخطابات والصّيغ العالِمة، والرسائل والبلاغات المُسنّنة، من قرّاء الصّحف والنشريّات السيّارة إلى مفسّري الكتب المقدّسة. وإنّ الأحاديث بأصنافها لا تبرأ من هذه الحاجة إلى التّأويل حاجةً جوهريّةً مكينةً: أحاديث الأحلام وتفسيرها، والرؤى وتعبيرها، وكذا الكهانة، والتّنجيم، والرّجم بالغيب، والتطيّر، وما تعلّق بكشف الغيب، وتوقّع المجهول. إنّما الأعمال والأيام منسوجة بالتأويلات كيفما أخذتها، من أدناها إلى أرقاها، من أبسطها إلى أكثرها تعقيداً، كأنما الحاجة إلى التأويل هي الحاجة إلى الفهم، أمّ الحاجات جميعاً، معجزة المعجزات: «هذا الفهم الذي ينتقلُ من إدراك تلعثمات الأطفال إلى **هاملت** أو إلى **نقد العقل المحض**» كما قال ديلتاي.

فإن عدنا إلى عنواننا صار من البيّن أنّ فيه شيئاً من هذا المشاع الفكري الذي لا يخلو منه عصر، ولا يتنزّه عنه فكر، ولا يستغني عنه عقل. هو شيءٌ ممّا تنبّه له كبار المنظّرين، والباحثين، والفلاسفة المتبحّرين في هذا الشأن، فقد رأى جياني فاتّيمو أنّ الهرمينوطيقا ما هي إلا ضربٌ من «اللّسان المشترك» (koinè) للثقافة الغربية، وهو ما أشار إليه غادامر أيضاً[1]؛ وأما فوكو فقد رأى أن «تقنيات التأويل»، التي تصطنعها كلّ ثقافة، غرضها

(1) راجع في هذا المعنى:

G. Vattimo, Oltre l'interpretazione. Il significato dell'ermeneutica per la filosofia, Editori Laterza, 1994 (1º ed.), 2002, 3; Au-delà de l'interprétation. La signification de l'herméneutique pour la philosophie, tr. Somville-Garant, De Boeckh, 1997; Id., «L'interprétation comme nouvelle koinè», in Etica dell'interpretazione, Rosenberg & Sellier, 1989; Ethique de l'interprétation, Paris: La Découverte, 1991, pp. 45-58; Hermeneutik-Ästhetik-Praktische Philosophie: Hans-Georg Gadamer im Gespräch, hrsg. C. Dutt, Heidelberg: Universitätsverlag C. Winter, 1995, p. 12.

«الكشف عن اللّغة التي تريد أن تعني غير ما تقوله، وتخمين وجود لغة خارج اللّغة»، وأنّ التأويل «ينعكس دوماً على ذاته»، كأننا في لعبة مرايا بعضها عاكسٌ لبعض بلا نهاية[1]؛ وهي حركة تذكّر بحدس نيتشه الأساس: أنّه ليس ثَمّ غير تأويلات لتأويلات، لا تأويلات لأشياء...[2]؛ ولقد استخلص دريدا من ذلك تمييزاً طريفاً بناءً على هذا «**الإيجاب** النيتشوي، إيجابٌ مرحٌ للعب دنيويّ، ولبراءة الصيرورة، إيجابٌ لعالم من العلامات بلا خطيئة، ولا حقيقة، ولا أصل»؛ مستنتجاً وجود «تأويلين للتأويل، للبنية، للعلامة، وللّعب؛ أحدهما يسعى إلى، ويحلم بفك سَنن حقيقةٍ أو أصل متحرّر من اللّعب، ومن حكم العلامة، وهو يحيا ضرورة التأويل كأنها منفى. أما الآخر، الذي لم يعد ملتفتاً إلى الأصل، فيوجب اللعب، ويحاول أن يعبُر إلى ما وراء الإنسان، والنّزعة الإنسانية...»[3].

ولا يبعد أن يكون تصوّر هايدغر عن المعرفة سلوكاً تأويلياً معطوفاً على المفصل الأنطولوجي لأعيان الموجودات المركوزة في العالم، ونمط الإقبال

(1) فوكو، ميشال، نيتشه، ماركس، فرويد، ضمن: جنيالوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العال، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988، ص ص. 34-35.

M. Foucault, «Nietzsche, Marx, Freud», in Nietzsche, Cahiers de Royaumont, Paris: Minuit, 1967; in Dits et écrits, Paris: Gallimard, 1994.

(2) هذا المعنى مبثوث في نصوص نيتشه، ولاسيما في الشذرات المنشورة بعد وفاته؛ راجع خاصة:

F. Nietzsche, «Vérité et mensonge au sens extra-moral», La philosophie à l'époque tagique des Grecs, Paris: Gallimard, 1996, pp. 207-220; cf. A. Manicki, «Nietzsche et la radicalisation de l'interprétation», Tracés. Revue des sciences humaines, nº 4 (2003), pp. 9-19; F. Vercellone, «Herméneutique et nihilisme», in C. Berner & D. Thouard (éds.), Sens et interprétation. Pour une introduction à l'herméneutique, PU du Septentrion, 2008, pp. 131-143.

(3) راجع: دريدا، جاك، البنية، اللعب، العلامة في خطاب العلوم الإنسانية، ترجمة جابر عصفور، فصول، المجلد 11، العدد 4، 1993، ص. 244 (بتصرف):

J. Derrida, «La structure, le signe et le jeu dans le discours des sciences humaines», in L'écriture et la différence, Paris: Seuil, 1967, p. 427.

«إنّ الوجه الهرمينوطيقي لا يقتصر، إذاً، على العلوم التأويلية للفنّ وللتاريخ، ولا على تعاطي "النصوص"، ولا، امتداداً، على تجربة الفنّ. فكليّة المشكل التأويلي، التي أقرّ بها شلايرماخر من قبلُ، إنما تخصّ كلّ ما هو عقليّ، الأمر الذي يعني كلّ ما نسعى إلى التفاهم حوله. ولكن حيثما يظهر أنّ الإفهام أمر غير ممكن، من أجل أننا "نتكلم لغات مختلفة"، لا تبلغ الهرمينوطيقا منتهاها. خلافاً لذلك، تُطرح هاهنا المهمة التأويلية بكامل حدّتها؛ أي مهمة العثور على لغة مشتركة. ولكن اللغة المشتركة ليست أبداً معطى قائماً، إنها اللغة السائرة بين المتحدثين؛ أما تعلم اللغات الأجنبية، تماماً مثل التدرّب على النّطق لدى الطّفل، فلا يعنيان فقط امتلاكاً لأدوات التفاهم. فمثلُ هذه الدّربة إنما تدلّ، بالأحرى، على ضربٍ من الارتسام السّابق للتجربة الممكنة، ومن اكتسابها الأول. أن ننمو في ظلّ لغةٍ تلك طريقةٌ لمعرفة العالم. ليس فقط مثل هذه الدُّربة، ولكن كلّ تجربة عامّةً، إنما يكون الاضطلاع بها بوساطة تهذيب مستمر تواصلي لمعرفتنا بالعالم. وبمعنى أعمق وأشمل ممّا كان يتصوّره أوغست بوك لوصف عمل الفيلولوجيّ، إنّ التجربة هي دوماً "معرفة المعروف"» (غادامر).

هذا الكتاب بحثٌ فلسفي وتاريخي في التأويلية ومصادرها: في معاني التأويل الأولى المتردّدة بين الرؤى والحدوس، بين الإشارات والعبارات، الحاملة لدلالات النقل والتواصل ومعجزات الفهم والتفاهم... معانٍ بقي الرمز الأسطوري العتيق (هرمس، رسول الآلهة، رب الطرقات، وزير النقل والمواصلات) جامعاً لها، عابراً بها أماكن وعصوراً... وهو بحث في تاريخية هذه المعاني وكونيتها عند أعلام مؤسسين من ذوي المقام الأكبر في هذا الشأن: من شلايرماخر مؤسس التأويلية العامة، إلى ديلتاي كاتب تاريخها، ومنظّرها الأكبر عند المعاصرين؛ من اللغة والخطاب إلى الزمن والتاريخ.

فتحي إنقـزّو: باحث وأكاديمي تونسي، أستاذ التعليم العالي في الفلسفة

ISBN 978-614-8030-40-6

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للنشر والتوزيع